الفصل الرابع

كرامة الصبي

تجتمع العوامل كلها وتتعاون وتتآمر على سلب اطفال الشعب كرامتهم في المنزل وفي الشارع وفي المدرسة وفي المصنع وفي الحياة العامة ليس للطفل كرامة هو يشعر بهذا ويسلم به ويوطن النفس عليه كأنه الشيء الواجب له وكأن سنة الكون في الأصل من يوم أن خلق الكون انما هي في سلب هذه الكرامة والعمل على ازالتها بكل الطرق الى أن اصبح زوالها هو الشيء المعقول المقبول والاحتفاظ بها أو محاولة الاحتفاظ بها له هو الشاذ الذي لا يقاس عليه ولا يعمل له حساب فالصبي يظن في نفسه كل شيء الا أن له كرامة ويظن في الناس كل شيء الا انهم يفرضون أن له كرامة يجب أن تراعى عند المعاملة .

ينزع الصبي في تصرفاته عن دوافع متباينة متعددة يستطيع ان يلم بها من يعنى بدراسة حياته ولكننا لا نظن اننا وجدنا بين هذه الدوافع والنوازع الكرامة على انها حافز للتصرف وكيف تكون نازعة من نوازع النفس عنده وهي غير موجودة عنده من الأصل بعد ان قضى عليها الناس في البيت وفي الشارع وفي المصنع وفي كل مكان يوجد فيه الطفل بين الناس ، لا نظن أن احداً من الناس يستطيع ان يجد ان للكرامة اثراً في حياة ألوف أطفال القاهرة مثلا ونرجو أن يعنى المطلعون والمفكرون بهذه الظاهرة عسى أن يجدوا لها اثراً فيدلونا عليه حتى نغير ما يستقر بنفوسنا وما حز في هذه النفوس وجعلنا نحزن كل الحزن ونشعر أن جيلنا الحالي الذي يتولى زمام الأمور في البلد أجرم في حق هؤلاء الصبيان جرما كبيراً .

فرق بين الكبرياء والكرامة فالكبرياء هو التظاهر بعلو القدر وأهمية المركز يفرضها الفرد على الناس فرضا يشعر الفرد أن له كرامة ويقدر هذه الكرامة بأكثر من حقيقتها ويغالي فيها بشكل تعجه الناس وتستقله ومع ذلك يفرضه على الناس ويطالبهم بقبول هذه الحالة فكأنه يقول لهم (ياناس أنا أحسن منكم وأفضل وأعلى قدراً ومقاماً منكم جميعاً وأريدكم على أن تقبلوا هذا وترتضوه وتتصرفوا بمقتضاه وكل من لا يقبل هذا أشعر أنه متكبر متعجرف يريد ان ينتقص من قدري وكرامتي فلي معه حساب) فالكبرياء حالة من شأنها تصغير شأن الآخرين والحط من قدرهم لأن الدنيا لا تتسع لكرامات تتعدد بتعدد الافراد وتوزع بينهم بنصيب لكل منهم القدر اللائق به فيصبح له حق المواطن في وطنه والفرد في جماعته .

والكرامة بخلاف هذا فهي تحمل الفرد اولا على احترام الناس افراداً وجماعات والحرص الشديد على ان لا يمسوا في عزة نفوسهم أو يشعروا بمهانة أو ذلة هي الاعتراف بقيمة الانسان حيثما وجد وحيثما كان وبغض النظر عن حالته الاجتماعية أو مركزه الاجتماعي وهي ثانيا ضابط لتصرف الفرد فمن التصرفات ما لا يليق بذي كرامة وما لا يقبل الفرد على اتيانه لأن نفسه الداخلية تأبى عليه هذا وتتنكر له سواء اكانت هذه التصرفات مما يقع تحت سمع الناس وبصرهم أو مما يمكن مداراته واخفاؤه عن أعينهم وهي بعد عبارة عن نوع من الثقة بالنفس والركون اليها والاعتداد بها والاعتراف بمكانتها في نظام الحياة والعيش من غير مغالاة في هذه المكانة .

لا تبغي المغالاة في تقدير هذه الخصلة المهمة ولا تزعم انها كل شيء في الاخلاق أو انها العلاج الشافي لكل الأخطاء الاخلاقية وانما تظن انها عنصر مهم في الأخلاق ودافع قوي يتحكم في السلوك والتصرف فعندما

تستوى للنفس الانسانية العناصر الأخرى وعندما تستقيم الأمور لهذه النفس يجب أن يعمل حساب هذه الخلة ويجب أن يعمل الناس على بثها فى نفوس الأطفال وتعهدها لأنها مكملة للشخصية الانسانية ولأنهـا عامل مهم فى ضبط النفس وفي توجيهها الوجهة اللائقة فى الحياة والعيش أما اذا لم يكن الفرد على شيء من الأخـلاق والفضائل النفسية أما اذا لم تكن الشخصية متزنة مستقيمة العناصر فان الغرض من بث الكرامة ينتفى وتصبح اداة للشر والافساد والتشويش بين الناس ويخيل لمثل هذا الفرد أن كل حركة أو سكنة من الناس موجهة للغض من قدره وللحط من شأنه فيفزع لكل كلمة لا يفهم معناها ويثور لكل تصرف لا يفهم المقصود منه ويلح فى الثورة واللجاج وينتج من هذا ما نشاهده من المعارك الكلامية فى الشارع والترام وفى كل مكان تجتمع فيه الناس .

والكرامة القومية أمر مرغوب فيه واجب على كل شعب وعلى كل فرد من الشعب فللانكليزى والأمريكي والسويسرى والسويدي كرامته على أنه انسان يجب له الكرامة ويعمل هو من جانبه على المحافظة على كرامته وله كرامته أيضا على انه ينتمي الى شعب محترم بين الشعوب له كرامته على انه انكليزى أو امريكي أو سويسرى أوسويدي وليس ثمة غضاضة من هـذا على العلاقات الدولية لا بأس من أن يعتز كل منهم بقوميته وبانتمائه الى شعب معين ولا نظن أن العلاقات الدولية تأثرت اوقد تتأثر من اعتزاز الامريكين والسويسريين كل بولايته التى ينتمي اليها وتفضيلها على الولايات الأخرى فى نفس الدولة الواحدة انما الخطر ان يتغلب الشعور بالكرامة الى كبرياء قبيحة تحقر من شأن الأجناس الأخري وقد يأتى الخطر من استغلال الـكرامة القومية لأغراض سياسيـة أو اقتصادية أما الكرامة الناتجة عن حب الفرد لقومه واعتزازه بشعبه فهذا أمر لا بأس منه وكثيرا ما يصلح للتندر والفكاهة وللمعاكسة اللطيفة التى يفهم منها الناس ما يراد لهم ان يفهموه من أن الغرض منها الفكاهة والضحك .

ما نظن اننا وجدنا هذا أو شيئاً من هذا فى أطفال الشعب فلم نجد من التصرفات ما يصح أن نعتبره منبعثا من الكرامة الشخصية عند الصبي أو عن شعوره بأنه إنسان له مكانته فى النظام الانسانى ولا نظن أننا وجدنا أثرا عنده للشعور بالكرامة القومية أو لاعتزازه بمصر أو بوادي النيل أو اعتزازه ببلدته القاهرة أو الاسكندرية أو أية بلدة ينتمي اليها وبعد فهذه أمور يسهل على المربين بثها فى الأطفال ونظن أن مصر سوف تجنى من هذا خيراً كثيراً فى العشرين سنة القادمة.

نريد من هذا المواطن الصغير أن يشعر أن له كرامة شخصيه فى البيئة التى يعيش فيها وأنه إنسان له خطره وقدره وأن الناس تسلم بهذا وتعترف به وأنه يحسه ويشعر به وأنه يري ويؤمن بأن البيئة لا تنازعه صحة هذا الاحساس ولا تنكره عليه بوجه من وجوه الانكار ثم نريد منه أن يشعر بأن هذه الكرامة دافع من دوافع تصرفاته الشخصية بحيث يمتنع عن بعض التصرفات لأنها تتنافى مع كرامته واحترامه لنفسه تستكبر أن يكذب أو يسرق أو يشى بالناس أو يسعى بينهم بالدسيسة والوقيعة أو أن يتهم صبياً آخر ظلماً حتى ينجو هو من نتائج تصرفاته أو يستقوى على الضعيف ويستخزي أمام القوى امتهاناً لشأن الضعيف وخوفاً من بطش القوي نريده أن يسير بين الناس واثقاً من نفسه ومن مكانته شاعراً أن الناس أهله وعشيرته لا يريدون له سوءا أو شراً وانهم لا يقصدونه فى كل تصرف يتصرفونه فلا يظن الظنون بهم ولا يشك فى نواياهم وأغراضهم نحوه.

ثم نريده على أن يتعلم ويتهذب بالثقافة الاجتماعية بحيث يشعر بأن له كرامة كمصري مواطن لوادي النيل وأن له شعباً يعتز به وأمة يفاخر بها بين الأمم يعتز بقوميته وبقومه ويتصرف بمقتضى هذه الكرامة فبعض التصرفات لا تليق بكرامته القومية هذه يتجنبها ويحرص على أن لا يأتيها بحال من الأحوال لأنها تمسه فى كرامته وفى عزة نفسه ولأن نفسه تأبي عليه هذا التصرف ثم يقدم على التصرفات التي تتطلبها هذه الكرامة القومية

بغض النظر عما يحيق به من جرائها ، يقدم عليها لأن الامتناع لا يستقيم لمشاعره الداخلية أو مع احترامه لنفسه .

لم نجد هذا أو ما يشبه هذا في أطفالنا ؛ على ما نظن هذه الخواطر وهذه الانفعالات لاتضطرب في نفس صبي الشارع ، ليست نفسه مجالا لهذا الضرب من الانفعالات لأنه لم يقع تحت تأثيرها ولم يخضع لمؤثراتها ولأن البيئة التي يعيش فيها خلو من هذه المؤثرات .

ثم لماذا يخاف الصبي المصري ولماذا يخشى كل شيء و كل أحد لماذا يزعج لكل سبب ولغير سبب لماذا يعيش في خوف دائم مقيم يملك عليه مسالك الحياة كلها فهو يخشى أباه ويخافه ويخاف من أمه ومن الناس ومن الصبيان الآخرين ومن البوليس ومن الطبيب ومن الدواء وممن يستوقفه في الطريق ليسأله سؤالا بريئا أو يستدل على الطريق ما هذا الخوف الذي تأصل في نفسه وأصبح من أكبر العوامل والدوافع النفسية لتصرفاته فهو مستعد أن يضحي بكل شيء بدافع الخوف من الناس ومن النتائج ولا يعمل شيئاً إلا إذا خيل اليه أنه سينجو وأنه لن يمسك وهو متلبس بما يعمل .

وقد يظن القاريء اننا مخطئون في هذا أو أننا نتجني على هؤلاء الصبيان وبخاصة عندما يلقي نظرة سطحية على الصبيان الذين يعملون في الشوارع الرئيسية في القاهرة أمثال فؤاد الأول وعماد الدين وما أشبه ولكن يخيل الينا أن لهؤلاء حكما غير أولئك أولا وأن النظرة العابرة السطحية لاتظهر حقائق النفوس ثانيا .

فاطفال الشوارع الرئيسية بحكم عملهم اتصلوا بالطبقات المستنيرة بالمعاملة والأخذ والعطاء واتصلوا برجال البوليس ببعض الطرق واتصلوا بالاجانب المقيمين في القاهرة وبرجال الجيوش الأجنبية وحصلوا من هؤلاء وأولئك على نوع من الثقافة الاجتماعية التي تخفف من وقع الخوف ومن مظهره على الخصوص ومع ذلك فلسنا من الذين يعتقدون أن التبجح وإثارة الخصومات

والشتائم والاستعداد لمناكفة الناس والصراخ والتحدث بصوت عال عند الخلافات من دلائل الشجاعة والاطمئنان والثقة بالنفس فكل هذه المظاهر خادعة وقد تتكشف عند الدراسة عن خوف وجبن متأصل فى نفس الطفل يتوارى خلف هذه التصرفات التى توهم الناس بأنها منبعثة عن دافع غير الخوف فأعلى الناس صوتا وأكثرهم ملاحاة فى الخصومة وأقدرهم على الشتائم والتهديد الفارغ ليس حتما أشجعهم وأكثرهم ثقة بنفسه.

أما أطفال الأحياء الفقيرة أو اولئك الذين يقيمون فى تلك الأحياء ولا يخرجون منها إلى غيرها فلهم حكم آخر هؤلاء تظهر عليهم آثار الخوف واضحة جلية خصوصاً لمن يتصلون بهم باستمرار بقصد الدرس والكشف عن الدوافع الدفينة لتصرفاتهم هؤلاء يخافون كل شيء ويخشون كل شيء لا يثقون بأحد ولا يطمئنون لأحد وعلى من يريد الاتصال بهم بقصد خدمتهم أن يكون صبورا طويل البال ويحاول أن يبث فيهم الثقة بنفوسهم وبغيرهم ويقضى على هذا الخوف الدفين فيهم شيئاً فشيئاً وقد يستغرق هذا زمنا طويلا ومجهودا متصلا.

ونظن أن الخوف هو من أهم العوامل التي تحدد العلاقات بين الأطفال فى كل جماعة منهم ترى ظاهرة واحدة قد لا تتغير تجد فى هذه الجماعة صبياً أو اثنين يشعران أنهما قويان ويشعران أن الصبيان الآخرين يخشونهما ويعملون حسابهما فى اللعب وفى الجد على السواء فيتصرفان كما يحلو لهما دون ضابط لتصرفهما الا هواهما وشهوتهما لا يقيمان وزنا للآخرين ولا يهمهما من أمرهم شيئا وتصبح الحكومة بينهم ديكتاتورية يتنازعونها فيما بينهما ونقصد بالحكومة نظام العلاقات بينهما وقواعد هذه العلاقات.

أما الصبيان الآخرون فلا رأي لهم فى امر من الأمور لا يقام لهم وزن والغريب أنهم هم انفسهم لا يقيمون لانفسهم وزنا فهم قابلون لهذا الوضع وهذه الحالة على انها ما يجب أن يكون وعلى انها هى النوع السائر من

العلاقات بين الناس وهي السنة التي تسير عليها الدنيا وانه لاعيب على الفرد في أن يخضع لمن يكبره قليلا وأن يستسلم له في كل حالة ويسلم له في كل شيء واذ تسأله لماذا هذا يجيبك في بساطة وسهولة (هو أكبر مني واذا قاومته يضربني) — تقول (ولهذا السبب تسلم له وتستسلم في ذلة ومهانة) فيقول (وماذا اعمل — قد يضربني) وليست هذه الحالة فردية او حالات قلائل يشاهدها الباحث قد يخطيء اذا ظن انها عامة تسير على جميع الصبيان ليس هذا هو الشأن لاننا وجدنا انها عامة في الواقع تشمل معظم الحالات الا في القليل النادر فلم نجد فيها وجدنا صبيا صغيرا يقاوم صبيا كبيرا بغض النظر عن النتائج لم نجد صبيا صغيرا مستعدا لاحتمال اللكمات وكيل اللكمات في سبيل شيء أو امر لا يريد أن يتنازل عنه لم نجد صبيا صغيرا يدخل معركة وهو عالم انه خاسرها ثم لم نجد صبيا صغيرا يرد اعتداء كبير عليه الا بالبكاء والصراخ الا في حالة قربه لبعض الناس الذين يظن انهم ناصروه في اقرب وقت أو على الأقل قد يتدخلون لكف الكبير عنه في هذه الحالة تسمع صوته عاليا مختلطا بالشكوى من الالم وبسلسلة الشتائم يأخذ بعضها برقاب بعض وتدل على التفنن في هذا الباب .

شرحنا هذه الظاهرة لأحد المفكرين حتى نستطلع رأيه فيها فقال « يظهر انك تهتم اهتماما كبيرا للشجاعة المادية أو بعبارة أخرى الشجاعة عندك مادية صرف وانك تفضل الشجاعة الادبية أي قول الحق والتمسك به وابداء الرأي حينما يكون ابتداؤه محفوفا بالصعاب وبغض النظر عما ينتج من ابداء الرأي والتمسك به هذه هي الشجاعة عندي . وهي أهم بكثير من الشجاعة المادية » قد يكون كلام هذا المفكر صحيحا وقد يكون اننا متأثرين بمشاهدات وبحوادث اتجهت بتفكيرنا هذه الوجهة فاصبحنا غير أهل للحكم دون تحيز وبعيداً عن المؤثرات وانما نظن وقد نكون مخطئين في هذا الظن ان الشجاعة حالة نفسية لا يمكن تجزئتها الى مادية ومعنوية وان الشجاع هو الذي يتصرف بمقتضى ما يظنه الواجب بغض النظر عما يصيبه

من الضرر المـــادي أو المعنوي وان النتائج لا دخـــل لها في تصرفاته وما تنبعث هذه الا بدافع الشعور بالكرامة والقيام بما تفرضه عليه كرامته من اعباء انه يفضل أن يضار على أن يشعر بالذلة والمهانة.

وفرق كبير بين الخوف والجبن فالخوف غريزة طبيعيـة من شأنها أن تعمل على حفظ حياة الفرد وكيانـــه ورعاية مصالحه بكل معنى الرعاية فمن يعتز بكرامته يخاف المهانة والذلة اكثر مما يخاف الاضرار التي تحيق به في سبيل الاحتفاظ بكرامته والمهان الذي ليس له كرامة يخاف غضب الناس أو عدم رضائهم اكثر مما يخـاف من نفسه . فهـذه يستطيع تنويمهـا وأما اولئك فقد لا يستطيع ارضاءهم . الخوف عنصر من عناصر النفس يوجد في الشجاع والجبان على السواء ولا نظن أن هذه الغريزة تنعدم في أي إنسان مهما كان شأنه صحيح ان موضوع الخوف يتعدد بتعـدد الناس وأمزجتهم فهذا يخاف من الناس وذاك يخاف من الظلمة وغيره يخاف الماء أو الحرائق أو الزوابع أو الحيوانات أو الحشرات أو الأمراض والجراثيم إلى آخر هذه الموضوعات وكل يحاول أن يجنب نفسه ما تخشى ويحاول أن يقيهـا شر ما تخافه .

ليس الشجاع إذن هو الذي لا يخاف وانما الشجاع هو الذي لا يجبن والجبن خصلة تتحكم في الفرد حتى لا يعود ينزع في جميع تصرفاته الا عن الخوف ، هو محاولة تجنب الشيء الذي يخافه الانسان دون نظر إلى عواقب هذا ودون النظر إلى أي اعتبار آخر فالرجل الذي يترك زوجه ويهـرب عند سماعه صوت زمارة الانذار أو عند سقوط القنابل جبان ولكنه إذا لزم امرأته وقادها إلى مكان أمين وأخذ يطمئنها ويداعبها ليخفف عنهـا وقع الحادث فهو شجاع حقاً وهذا لا ينفي بالطبع أنه خائف من القنابل أو من الطائرات حقاً هو خائف ولكنه لا يتصرف بدافع الخوف وحده إذ أن هنالك دوافع أخرى تتحكم في هـذا التصرف كما يتحكم الخـوف منهـا دوافع كرامته كرجل ومنها مساعدته للضعيف ومنها ولاؤه وحبه لزوجه.

بينما أنا أخط هـــذه السطور وصلني مكتوب من صديق يعمل بين أبناء الشعب قال :—

ذهبت امس مع بعض اطفال الشعب الى دار من دور السينما الشعبية وبينما نحن نشاهد الصور قامت مشادة بين بعض المشاهدين انتهت الى الضرب بالايدي والعصى والكراسى فتركت الصبيان الذين معي وذهبت الى مكان المعركة وحاولت فصل الطرفين وتهدئـــة ثورتهما كل هـذا والذين معي يحاولون منعي بكل قوة خوفاً من أن يصيبني شيء من المعركة نجحت فى تهدئة الحالة ورجعت الى مكاني من جماعتي واذا بهم يتحدثون عن شجاعتي واقدامي الى أن خيل إلى أني بطل ولم استطع ان اصرفهم عن هذا الحديث بعد انتهاء السينما وخروجنا الى الشارع .

وبينما نحن نتحدث فى الشجاعة ومعناها وفى البطولة وما اشبه اذا بفريق من الجنود البريطانية قد هجم علينا فانفرط عقد الاولاد من حولى وهربوا الى كل ناحية وتركونى ومعي غلام واحد واذا باحد الجنود يلكم الصبي لكمة بعدها تركني وحيداً أمامهم وقـــد كانوا سكارى وبأيديهم زجاجات الخمر فالتفوا حولى ورأيت أنه سوف يصيبني منهم شر كثير وإذا باحدهم يلكمني على فكي لكمة جعلت رأسي تدور والدنيـــا ترقص امام عيني ولكمني آخر على الفك الثانى فخطر لى أن ارد الضربات ولكن عددهم وغياب وعيهم والزجاجات بايديهم كل هذا أمسك يدي عن أن ترد لكماتهم ففكرت أن أهرب ولكني شاهـدت جماعتى منتشرة فى كل زاوية ترقب ما أنا صانع ففضلت ان ابقى مكاني وأن اكتفى بالكلام الشديد معهم دون الهرب او رد الاعتداء ثم قيض الله لى البوليس الحربى الذي صرف الجنود عني .

يقول صديقي (ثم انقطع حديث الاولاد عن الشجاعة والبطولة).

ولكن الكاتب يظن ان صديقه شجاع لأنه لم يتصرف بدافـــع الخوف وحده ولكنه تصرف بمقتضاه وبدافع الرجولة والكرامة ورغبته فى المحافظة

على مركز الزعامه بين الاطفال ايضاً وبعبارة اخرى كان تصرفه منبعثاً من عدة دوافع احدها الخوف من الضرر البدني الذي قد يناله وهذه عين الشجاعة على ما نظن فليس التهور والاندفاع وعدم تقدير النتائج دليلا على الشجاعة .

ومن مظاهر هذه الحيلة في اطفال الشعب شكاواهم الكثيرة التي لا يفرغ منها من يعمل بينهم فهذا يشكو لان صبياً شتمه وذلك لان آخر دفعه عنه بيده وآخر لان طفلا جذبه من ثيابه وهكذا الى آخر هذه الشكاوي التي يطلبون لها حلا ولمثيريها عقوبات يأتي الصبي نائحاً باكياً فتسأله لماذا ينوح ويبكي فيقول لك (من فلان) وماذا عمل لك فلان هذا فيقول (كان ما يضربني) لم يضربه بعد ولم يضع عليه يداً وانما كان ينوي ان يضربه اما كيف عرف هذا وما الدليل عليه فليس هذا من شأنه وانما شأنه في انه شعر بنية الضرب او خيل اليه ان هذه النية موجودة عند زميله .

فالاولاد لا يستطيعون المحافظة على حقوقهم وكرامتهم ويشعرون انهم في جماعة لا يمكن لهم فيها ان يحافظوا على حقوقهم ويودون لو ان بينهم كبيراً حاضراً بين ظهرانيهم في كل دقيقة ليرد لكل فرد منهم حقه واكثر من حقه فكأن الزمن الذي نقضيه معهم يصرف معظمه في الاستماع للشكاوي هذه في ذيل تلك وثالثة تتبعها الى أن تتصل السلسلة بأخذ بعضها برقاب بعض .

وهنالك ظاهرة خبيثة أخرى لا يدرى الدافع لها أو العلة في تمكنها من نفوسهم إلا أن نحسبها ترجع الى البيئة الظالمة التي يعيشون فيها أو الى الجو النفساني والاجتماعي الذي يحيط بهم تلك هي خصلة الوشاية والسعي بالوقيعة لسبب ولغير سبب فعندما يضيع منك شيء مثلا يتطوع الصبيان بابلاغك عن غريمك وقد لا يكون هذا الغريم على الاطلاق وقد لا يكون لهذا الفرد بالذات صلة بالموضوع وانما تجد من يتطوع لاتهامه دون داع مفهوم لديك

هذا اذا وثق الطفل أنه لن يصيبه مكروه على يدي المتهم اما لأنه يوقن أن المتهم لن يعرف اسم من وشى به أو لأنه يستخف بهذا الفرد بالذات ولا يهتم له أو يقيم لغضبه وزنا والواشي يفعل هذا اما رغبة في النكاية بخصم ووجد أن هذه فرصة حسنة مؤاتية لهذا الغرض واما أنه يقصد التقرب لذوي الحكم والسلطان عسى أن يحلبوا له خيراً أو يدفعوا عنه ضراً .

وكثير من الناس حتى من المدرسين ونظار المدارس لا يرى في هذا بأساً أو غضاضة على أحد مادام المبلغ صادقاً في تبليغه لا يتهم احداً زوراً أو بهتاناً والعيب عندهم في الباطل فقط وليس في الوشاية لا بل صادفنا كثيراً من الحالات في المدارس حيث يضطر أرباب السلطة الأطفال على أن يبوحوا بأسماء المخالف من الذين يكسرون قوانين المدرسة خلسة لا بل أن بعضهم يقيم من الأطفال جواسيس ينقلون اليهم اخبار التلاميذ اولا بأول حتى لا تفوتهم شاردة او واردة من هذه التصرفات رأينا هذا وصلتنا اخباره ووجدنا من المدرسين والنظار من لا يرى بأساً من هذا .

واطفال الشعب لا يرون في هذا بأساً على الاطلاق يظنون أن الوشاية شيء عادي لا غبار عليه ويشعرون أن الكبار ينتظرون منهم هذه الخدمات يؤدونها وانهم يلامون أن لم يتطوعوا بها دون أن يكلفهم احد والمصيبة في الموضوع أن هذه اسهل الطرق لمعرفة الاخبار فهي لا تكلف الكبار جهداً أو مشقة فيلجأ اليها الكبار دون تفكير كثير ودون تقدير لعواقبها في حياة الأطفال وبعد فالكبار في الازمات لا يعنون بحياة الأطفال وانما يعنون أولا وقبل كل شيء بمعرفة من سرق هذا وكسر ذاك أو افسد هذه فليس الكبار اناساً سيئي النية يقصدون إلى افساد حياة الأطفال وانما هم قوم لا يتسع وقتهم لتخير احسن الطرق التي تنفع الأطفال نفعاً مستديماً بل هم معنيون بمعرفة ما حدث باوفر سرعة وبايسر السبل واسرع طريقة وايسرها على الكبار هي أن يحملوا الصغار على الوشاية بعضهم والصغار يسعون بالوشاية والسلام .

ليست القسوة من طبع المصريين فهم قوم يخفون إلى مساعدة كل من يتعرض لألم متى شاهدوا هذا الألم فتراهم يعطفون على كل فقير فى الشارع ويعطونه لأنهم يحسون العطف عليهم مما زاد عدد الشحاذين فى البلد زيادة لا مثيل لها ويعطون حتى مع العلم بان بعض هؤلاء الشحاذين فى غنى عن التسول ثم هم يستعطفون رجل البوليس فى جميع الحالات التي يؤدى فيها عمله فهم يودون لو يعفى السارق من العقوبة ولو يترك كل طفل يقبض عليه البوليس لمخالفة ذلك لانهم بطبعهم وبتربيتهم يكرهون أن ينال فرد ما يستحق من العقاب يشاهد هذا ومثله كثير فى أنحاء القاهرة فما يكاد البوليس يلقي القبض على مخالف حتى تراهم يجتمعون حوله يستعطفون طالبين العفو عن المذنب إما لأنه مسكين أو لأن الدنيا حر أو لأن الوقت موسم أعياد إلى آخر هذه الأسباب.

ولكنا نلاحظ القسوة والغلظة فى أطفال الشعب وبخاصة فيما يتصل بالحيوان الضعيف المسكين فالحمار يضرب دون شفقة أو رحمة والقطط والكلاب ترجم بالطوب وتركل بالأقدام والعصافير الصغيرة تربط بالحبال وتجر فى الشوارع يلعبون بها ويسرون بحركاتها التي لا بد وأن يكون مصدرها الألم يخاف الطفل من الألم وينزعج له ولكنه لا يحسه فى غيره ويظهر أنه لا يبالى كيف يتالم الغير وبخاصة متى كان الالم واقعا على بعض الحيوانات لماذا يعجزون عن مشاركة الغير في آلامهم ولماذا لا يحاولون أن يخففوا من هذه الآلام بقدر ما يستطيعون حتى وإن كانت وسائلهم لهذه الغاية مضحكة سخيفة لا تنقذ من ألم أو تخفف منه يخيل إلى من يشاهدهم أنهم عديمو الاحساس وان قلوبهم قاسية لا تعرف معني للرحمة والعطف والواقع أنه بقليل من الصقل والتهذيب وبقليل من الثقافة الانسانية الاجتماعية تنعدم هذه الظاهرة فلا يعود لها أثر وبعبارة أخرى ترجع دقة الاحساس ومشاركة الغير في آلامهم إلى الثقافة الواسعة وإلى اتساع ملكة الخيال فى الأفراد وبالطبع لم تكن لاطفال الشعب فرصة للمران على الخيال أو لنيل حظ من الثقافة واسع أو ضيق .